وعلينا ألا ننسى أن سر ضعف الاحزاب الشيوعية العربية عموما ولا جماهيريتها هو الموقف الخاطىء من القضية الفلسطينية أساسا ، ومن قضية الوحدة العربية ثانيا ، ومن هنا فان دعوة الدكتور العظم الى بناء الحزب الماركسي الذي يؤمن بأمة يهودية واستقلال قومي لهذه الامة تذكرنا بتعبير شائع وطريف : « ان التاريخ يعيد نفسه مرتين ، الاولى على شكل مأساة والثانية على شكل مهزلة » .

ان مسألة بناء الحزب ، والحزب الماركسي العربي تحديدا من المسائل الاكثر اهمية وخطورة ، لان الحل النهائي لمعضلات المنطقة العربية الاستراتيجية والجذرية ، لا بد أن يتصدى لها أخيرا مثل هذا الحزب ، غير ان هذا لا يعني لحظة واحدة ان نقفز فوق الواقع المليء بالصدامات والتحديات والقوى المقاتلة وندينها هكذا بالفشل والافلاس بل والانتهاء ، من أجل الدعوة للحزب الذي لم يولد بعد . ان مثل هذه الخفة في تناول القضايا الوطنية والنضالية ، وكأن مثل هذا الحزب يشترط لولادته الفراغ الكامل من كافة القوى حتى يتمكن من الولادة او القيادة .

الحزب الماركسي الثوري العربي في ظروف بلادنا الراهنة يولد من خلال القتال والكفاح التحريري الشعبي المسلح من مئات الكوادر والمناضلين المتمرسين في معارك الشعب اليومية ضد الاعداء الصهاينة والامبرياليين وعملائهم الرجعيين .

في بلادنا التي تعيش مرحلة الثورة القومية الديمقراطية لا يولد الحزب الماركسي الثوري بين بروليتاريا المصانع او جماهير الفلاحين المسحوقة بالنهب الاقطاعي ! ، انما يولد في مناخ الكفاح المسلح ضد أعداء الامة ، ومن بين المقاتلين العصابيين وفي ظل بنادقهم وايضا في شعارات حرب الشعب والتحرير الشامل والمجتمع الديمقراطي الفلسطيني ووحدة الامة وحريتها وتقدمها .

مقياس خاطىء

الدكتور العظم من اجل أن يبرهن على فرضية مسبقة تقول ان البرجوازية سقطت ببرامجها وقياداتها وممارساتها وأحزابها وحركاتها وان عليها أن تتنحى لتسلم القيادة للبروليتاريا وحزبها! يستحضر حزيران ٦٧ وأيلول ٧٠ لانهما الدليل على الفشل الكامل السياسي والعسكري والطبقي .

هزيمة المعركة ، خاصة المعارك الكبيرة هي المقياس عند العظم ليحدد بعدها انتهاء دور طبقة كاملة ، وهذه جهالة تثير الاشفاق :

أولا : ان الذي يحدد دور الطبقة ليس رغباتنا مهما كانت طيبة ومخلصة ، وانما قوى وعلاقات الانتاج والاحزاب والقوى التي يفرزها الواقع الاجتماعي ، والثقافة السائدة او التي في طريقها لكي تسود حياة المجتمع وفكره .

ثانيا : اذا كانت الهزيمة مقياسا لفشل الطبقة أو حزبها فكيف يفسر الدكتور العظم ، اجتياح الالمان لاراضي ومناطق كاملة في الاتحاد السوفياتي في الاشهر الاولى من الحرب العالمية الثانية ، وكيف يفسر هزيمة الجيش الاحمر الصيني في مناطقه المحررة بعد حملات الابادة الخمس ونزوح هذا الجيش فيما عرف بالمسيرة الكبرى الى شمال غرب الصين في رحلة العشرة آلاف ميل . هذه المسيرة بدأت بـ ٣٠٠ الف جندي أحمر وعند نهايتها كان العدد ٢٥ الف جندي أحمر . هناك ٢٧٥ ألفا بين قتيل وجريح ومنهزم وهارب .

حول هذه القضية سنستمين برأي قانوني ، وهو يحمل شهادة دكتوراه في الحقوق الا انه ثوري ومناضل ولا يجزع أو يفقد الثقة بعد الهزيمة ، انه فيديل كاسترو :

١ — بعد فشل الهجوم على ثكنة المونكادا (احتفلت كوبا يوم ٢٦ تموز الماضي بهذه الذكرى) وقتل وأسر معظم المشاركين في الهجوم قدم كاسترو مرافعته الشهيرة باسم « سيبرئني التاريخ » التي تحدث فيها بحب وفخار عن رفاقه الشهداء وبسالتهم وتضحياتهم ، وتحدث عن بعض الاخطاء التي رافقت تنفيذ العملية ومن وراء القضبان وضع نظام الجلاد باتيستا في قفص الاتهام ، وهتف بشعار الثوار الكوبيين : « النصر او الموت .. سننتصر » . بعد حوالي سنتين ، سقط نظام باتيستا وانتصرت الثورة .

٢ — في مقدمة « يوميات غيفارا في بوليفيا » التي كتبها كاسترو رد بعنف على الذين هاجموا ثورة بوليفيا وغيفارا بحجة ان الظروف الموضوعية غير ناضجة في بوليفيا للثورة ، وبأن غيفارا مغامر رومانسي فقال ان الثورة الكوبية كان من الممكن ان تسحق في احدى حملات الحصار في السييرا مايسترا وان يستمر حكم باتيستا زمنا أطول ، الا